المرسل عند الجرجاني(ت: 471هـ) في كتابه "دلائل الإعجاز" (دراسة لسانية)

أ.م. د أحمد كاظم عمّاش العيساوي
الباحثة: زينة كريم علوان الحدادي
جامعة بابل/كلية العلوم الاسلامية

Al-Mursal by Al-Jarjani (died in 471.H) in his book Evidence of Miracles (Linguistic Study)

Prof.Asst.Dr. Ahmed Kazem Ammash Al-Essawi
Researcher Zeina Kareem Alwan Al-Haddadi
Babylon University / College of Islamic Sciences

Abstract

This research represents in its folds the talk about the strategy of the linguistic communicative theory coupled mentioned by Proman Jacobson, as it is concerned with studying a communicative element of the other communicative theory elements in linguistic discourse in the book of one of the giants of the Arabic language, which is the element (the sender), so he looks at how the communicative theory is employed and its effect on Al-Jarjani's linguistic speech, in order to achieve and succeed the desired communicative dimension.

Keywords: Linguistic communication, sender, Al-Jurjani, communication elements

الملخص

يتضمن هذا البحث الحديث عن استراتيجية النظرية التواصلية اللسانيّة المقترن ذكرها برومان جاكوبسون, إذ يُعنى بدراسة عنصر تواصلي من عناصر النظرية التواصلية الأخرى في الخطاب اللغوي في كتاب أحد علماء اللغة العربية وهو عنصر "المرسل" فينظر في كيفية توظيف النظرية التواصلية وبيان أثرها في خطاب الجرجاني اللغوي في كتابه(دلائل الإعجاز), من أجل تحقيق ونجاح البعد التواصلي المنشود.

الكلمات المفتاحية: التواصل اللساني, المرسل, الجرجاني, عناصر التواصل.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على من نطق بالضاد وفخر الكائنات محمد صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الميامين ومن اتبعهم أجمعين. أما بعدُ:

أجزل علينا القدماء من علمائنا العرب بتراثهم اللغوي الثري الملم بجميع المجالات اللغوية وغير اللغوية التي مكنت وهيئت فيما بعد من إقامة دراسات ونظرية قيمة سواء أكانت في اللغة أم في غيرها من المجالات, مثلما وجدناه عند العلماء والفلاسفة المعاصرين؛ ولكن هذا التراث القيم والمتعدد يحتاج إلى آليات واستراتيجيات وسنن معدة ومنظمة من أجل فك شفرة النصوص والكشف عن الرسائل والمقاصد المرادة منها والوصول إلى ادق التفاصيل الموجودة في ثناياها ومن بين هذا الإرث العظيم كتاب "دلائل الإعجاز" لمؤلفه عبد القاهر الجرجاني(ت: 471هـ) الذي جمع فيه أكثر من مستوى لغوي, ناهيك عمّا يمتاز به الجرجاني من رجاحة الفكر وقوة الحجة ورصانة الدراسة والتحليل, كل هذا جعل الباحثة عاكفة على أن تدرسه دراسة لسانية وتتوغل في أسراره ولآلئه, ومنها دراسة

العنصر التواصلي(المرسل), مقسمةً بحثها على فصل, تتقدمه توطئة توضح فيها أهمية التواصل وضرورة وجود عناصره الاساسية, سبق بمقدمة واختتم بأهم النتائج, وقائمة للمصادر والمراجع.

المرسل(المتكلم) في دلائل الإعجاز.

توطئة

إن عملية التواصل التي ترافقنا في كل مكانٍ وزمان هي من تجعلنا نتعايش بطرقٍ مختلفةٍ، لغوية كانت أم غير لغوية، فشأنها شأن أي عملية أخرى تحتاج إلى عناصر رئيسة ترتكز وتتكئ عليها وتوصِل الغرض المطلوب منها وهذه العناصر بطبيعة الحال يُكمّل بعضها بعضًا، فلا يمكن أن يسمى تواصل من دون وجود طرفين، أحدهما ينتج ويُكوّن الرسالة المراد ايصالها وهو المرسِل(المتكلم)، فتنتقل هذه الرسالة إلى المرسَل إليه(المتلقي) ودوره يكمُن في تفكيك رموز تلك الرسالة المراد تبليغها، أما الرسالة التي تمثل فحوى عملية التواصل هي الأخرى لابدّ فيها من وجود عناصر لإتمامها ومنها السياق، وظرفا الزمان والمكان، وكذلك المقام؛ لأنه لا يمكن للتواصل أن ينجح إذا ما تضمن وامتلك كل ما تقدّم. وهذا الدرس اللساني الحديث وتصنيفاته لم يغفل عنه علماؤنا من سدنة العربية, فالعناصر التي قد وجَب وجودها في الكلام، والمحافظة عليها، كانوا يطلقون عليها عبارة مقتضى الحال: ((هو ما يدعو إليه الأمر الواقع، أي ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص)) [1].

أما التواصل في الدراسات الحديثة فيُعد: ((عملية تتطلب جهازين لمُعالجة المعلومات. أحد الجهازين يُغيّر أو يُعدلّ البيئة الفيزيائية للآخر. ونتيجة لذلك، يقوم الجهاز الثاني بتكوين تمثيل أو ترميز represntation مُشابه للتمثيل المخزون في الأول)) [2].

وأيضاً لابد من ذكر القول الذي ينُصّ على: ((يمكن النظر إلى كل خطاب على أنه تواصل بطريقة أو بأخرى ما دام الخطاب يفترض متداولين, إذ لكل خطاب مرسِل, ومرسل إليه أو متلقي, سواء أكان هذا متلقيًا فعليًا أو مثاليًا أو متوهمًا)).[3]

المرسِل

المتكلم هو العمدة في عملية التواصل؛ لأنه يُعد عنصرًا أساسيًا في العملية التواصلية، فضلًا عن كون الخطاب يتمركز عليه؛ لأنه الباعث والمنتج والموجه والمخبر والناقل للخطاب والمكون للرسالة، وقيل: هو وحده مَنْ يستطيع تحديد الدلالات ومقاصدها فضلًا عن أن المعنى في كثير من الحالات مرتبط بمَ ينويه، وما يقصده.[4] وقد أشار "الجرجاني" إلى أن المتكلَّم:((هو الواضع للكلام والمؤلف له))[5].

وفي بداية الدراسات اللسانية الحديثة كان الاهتمام بالمرسل ضئيل نوعًا ما؛ لأنهم في حينها اعتمدوا على الاهتمام بالبنية الداخلية عللا حساب البنية الخارجية، وظلوا هكذا إلى أن جاء نعوم تشومسكي بانتقاداته الجريئة ضد البنيوية،

---

[1] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: 40.

[2] نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك: دان سبيربر و ديدري ولسون ، 20.

[3] المفاهيم وأشكال التواصل: محمد مفتاح & أحمد بو حسن, 15.

[4] ينظر: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، 163.

[5] دلائل الاعجاز: 417

بعدها أولوا ذلك العنصر التواصلي اهتمامًا كبيرًا وعدوه الأساس في فهم المعنى وقصد الدلالة[6]. وذكر عبد القادر الغزالي حدَّ المرسل فقال:((إن المرسل هو مصدر تكون وتحقيق الرسالة))[7].

أما لسان المتكلم فإنه يتغير في كل اللحظات من دون أن يتوقف أبدًا عن العمل في تأدية وظائفه، والهدف من هذا التغيير المستمر هو التواصل، وللبقاء على التواصل اللغوي بين المتكلمين يقتضي بقاء المتكلمون على توافق حول قواعد النطق والنحو مع توافق معنى الكلمات وقيمة توافقاتها[8].

ونجد الجرجانيّ قد أورد ذكر بعض الصفات الخاصة بمُنتج الخطاب وصانعه في نصٍ مهم في الكشف عن أثر(المرسِل) في الخطاب فقال:((وإذ قد ثبت أن الخبر وسائر معاني الكلام، معانٍ يُنشئها الإنسان في نفسه، ويُصَرِّفها في فكره، ويُناجي بها قلبه، ويُراجع فيها لُبّهُ، فاعلم أن الفائدة في العلم بها واقعة من المُنْشىء لها وصادرةٌ عن القاصدِ إليها))[9] إذًا يتضح بأن هذا النص قد أظهر لنا المتكلم بصفات تواصلية متعددة أستطاع بها أن يُوصل ما يقصده إلى المتلقي فتارة يكون المخبر، وتارة القاصد والمنشئ، والمناجي، والموجه ونفسه المرشد والمعلم هنا، وهو أيضًا المتصرف بالكلام وبقصد الخطاب، من أجل إفادة المخاطب، ونجد جُلّ هذه الصفات المذكورة في مؤلِف ومتكلم "دلائل الاعجاز" عبد القاهر الجرجانيّ، فهو المنشئ والمؤسس لنظرية النظم التي تعدُّ من أهم ما جاء به، و تنُم عن ثقافة المتكلم وخبرته وذكائه، فقد تبلورت عنده هذه النظرية بنظم الكلام وعلاقة بعضه ببعضه الآخر، وهذه العلاقة نتجت عن التواصل التكاملي في الكلام الذي أظهر منه إعجاز القرآن الكريم، لأن الكلام صدر من المتكلم المعجز في تركيب النص المقدَّس قاصدًا لغة العرب في قواعدها، لذلك نجده يقول: ((ليس النَّظْمُ إلا أنْ تضع كلامك الوضع الذي يقتضيهِ "علم النحو"، وتعملَ على قوانينه وأصُوله، وتعرف مَناهجه التي نُهجَتْ فلا تزيغ عنها، وتحفَظَ الرسومَ التي رُسِمت لك، فلا تُخِلُّ بشيءٍ منها))[10]، فالمتكلَّم مُلزم بقوانين اللغة الناطق بها، ليكون هو المرشد والقاصد، ويُعد القصد والترتيب في الألفاظ والأفكار والمعاني شيئًا مهمًا وأساسيًا في موضوعاته، ويوضح هذا الكلام ويدل عليه النص الذي قال فيه: ((وجملةُ الأمرِ أنَّه لا يكونُ ترتيبٌ في شيءٍ حتَّى يكون هناك قصْدٌ إلى صورةٍ وصِفةٍ إنْ لم يُقدَّم فيه ما قُدِّم، ولم يُؤخَّر ما أُخِّر، وبُدئَ بالذي ثُنِّيَ به، أو ثُنِّيَ بالذي ثُلِّث به، لم تحْصل لك تلك الصورةُ وتلك الصِّفة، وإذا كان كذلك، فينبغي أن تَنْظُرَ إلى الذي يَقْصِدُ واضعُ الكلامِ أنْ يحصُل له من الصورةِ والصِّفةِ))[11]

وأكد الجرجانيّ أهمية المتكلَّم، وأن دوره وأهميته تكمُن في كيفية صياغة المفردات، وتعلقها بعضها مع بعض؛ لأنها تجعل النص متماسكًا ومتكاملًا في المستويات النحوية منها، والبلاغية، والصوتية والصرفية جميعها، وهذا يعني أن المتكلم يجب أن يُراعي قوانين اللغة عند التواصل. وكل هذا تضمنه قول الجرجاني:((ليس من عاقلٍ يَفْتَح عينَ قلبهِ، إلاَّ وهو يعلم ضرورةً أنَّ المعنى في "ضَمِّ بعضها" إلى بعْضٍ"، تعليقُ بعضِها ببعضٍ، وجَعْلُ بعْضِها بسَبَبٍ من بعض، لا أن ينطق بعضها في أَثر بعضٍ، من غير أنْ يكونَ فيما بَيْنها تعلُّقٌ، ويعْلمُ كذلك ضرورةً إذا

---

[6] ينظر: في اللسانيات التدولية, 163.

[7] اللسانيات ونظرية التواصل: 25.

[8] ينظر: وظيفة الألسن وديناميتها. اندريه مارتينه، 116.

[9] دلائل الإعجاز: 545.

[10] دلائل الإعجاز:81.

[11] دلائل الإعجاز: 364.

فَكَّرَ، أنَّ التعلُّقَ يكونُ فيما بين معانيها، لا فيها بَيْنها أَنفُسها))[12] فنجده قد عبّر عن انسجام الكلمات وربطه بوعي وثقافة المتكلم وفق استراتيجية توجيهية، وقوة إنجازية فعلية في الأفعال [يفتح، ضم، جعل] التي أدتها سُلطة المتكلم العلمية ولمصلحة "المخاطب"، قال عبد الهادي الشهري:((إذا كانت الاستراتيجية التوجيهية تؤول المنفعة لصالح المرسل إليه فحكم أفعال التوجيه هي الندب)).[13]

بعد هذا يبدو لنا أن منتج الرسالة ومصدر الإرسال في "دلائل الاعجاز" هو الجرجاني نفسه ففي النص الآتي: ((واعلم أنَّ "الهمزةَ" فيما ذكرنا تَقريرٌ بفعل قد كان، وإنكارٌ له لِمَ كان، وتوبيخٌ لفاعِلِه عليه. ولها مذهبٌ آخَر، وهو أن يكون الإنكار أَنْ يكون الفعل قد كان من أَصله. ومثالُه قوله تعالى [أَفَأَصْفَاكُم رَبُّكُم بِالبَنِين وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُم لَتَقُولُونَ قَولًا عَظِيمًا] (سورة الإسراء: 40)، وقولُه: عزَّ وجلَّ: [أَصْطَفَى البَنَاتِ عَلَى البَنِين، مَا لَكُمْ كيف تحكمون] (سورة الصافات: 153، 154) فهذا رَدٌّ على المشركينَ وتكذيبٌ لهم في قولهم ما يُؤَدِّي إلى هذا الجهلِ العظيم، وإذا قدم الاسم في هذا صار الإنكارُ في الفاعل)).[14]

تضمن النص السابق سياق عام وهو "موضع تقديم وتأخير الهمزة التي للإنكار والفعل الماضي" وليس باستطاعة أحد أن يمتنع من التفرقة بين تقديم أو تأخير هذا الموضع[15]، ناهيك عن آلية الربط التي استعملها المتكلَّم في ربط معنى النص الحالي بالذي سبقه، وفق استراتيجية الإقناع، التي تأسست بناءً على معيار هدف الخطاب، ويروم المتكلَّم من خلالها الى إقناع المخاطب بما يراه، وإحداث تغيير عند الأخير في الموقف الفكري أو العاطفي، وفق الحقل العلمي الذي مارس المتكلم فيه الإقناع. [16] فالجرجانيّ إذًا قد بيّن أن الاستفهام مع الفعل يُكون الإنكار في الفعل؛ لأن الله أنكر عليهم الاصطفاء بتقديم الاستفهام على الفعل، فالمتكلم قد أدرك هذه الحقيقة وبيّنها وأطلقها للمرسَل إليه، ومعلوم أن المعنى بهذا التركيب أخرج الانكار على الفاعل، فتوضيح المتكلم لهذه الآية, وهذا التركيب كان حريصًا أن يوصل للمرسَل إليه المعنى الموجود في الاستفهام الاستنكاري. ولسلطة المتكلم وإلمامه بعناصر ومقومات الخطاب هي الاخرى عامل في إيصال المعنى إلى المتلقي، وكيفية التواصل معه وإقناعه، ونقل عن أوستن أنه قال في هذا المقام: يجب أن يكون المتكلم حائزًا على سلطة مناسبة لإنتاج القول، حتى يكون له الحق للقيام بهذا[17].

لا يخلو النص من سياق لفظي، وحالي، وسياق الحال, كما ذكروا أنه يشمل أنواع النشاط اللغوي جميعًا سواء أكان كلامًا أم كتابة، وهو أيضًا جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي.[18]وحمل السياق اللفظي محاور تواصلية عدة، جاء بها المتكلَّم من أجل إتمام التواصل النحوي، ونقل القصد إلى المرسَل إليه بصورة دقيقة ومثمرة، ومن هذه المحاور الفعل الكلامي الذي أحالت إليه عبارة ((وهو أن يكون الإنكار أنْ يكون الفعل قد كان من أصله)) حيث تضمنت إشارة إلى فعل كلامي تعبيري غير مباشر، وعرف أوستن الفعل الكلامي بقوله: ((هو النطق ببعض

---

[12] دلائل الإعجاز: 466.

[13] استراتيجيات الخطاب(مقاربة تداولية): عبد الهادي ظافر الشهري، 326.

[14] دلائل الإعجاز: 114.

[15] ينظر :دلائل الإعجاز, 111.

[16] ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويه تداولية ، 444.

[17] ينظر: لسانيات الخطاب، الاسلوبية والتلفظ والتداولية، صابر حباشة، 209.

[18] ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، 310-311.

الألفاظ والكلمات، أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة، ومتصلة على نحو ما بمعجم معين، ومرتبطة، ومتمشية معه، وخاضعة لنظامه)).[19] ويعدّ أيضًا((أصغر وحدة مكتملة للاتصال اللغوي الإنساني)) [20].

وقد أدى المتكلّم هنا فعلًا إنجازيًّا تعبيريًا؛ لأنه قد عبّر عن صدق الفعل الكلامي في النص، ببيان تقديم الفعل مع الهمزة الدالة على معنى الإنكار، وكيفية تغير المعنى والتباسه لدى السامع عندما يتم تقديم الفاعل بدله، بمعنى الذي يتم تقديمه مع الهمزة سواء الفعل أم الفاعل، هو المخصوص بمعنى الإنكار. إذن الفعل التمريري التعبيري كما بينه سيرل، بأنه تعبير عن شرط الصدق للفعل الكلامي. و أن هذا الصدق بطبيعة الحال سوف يتغير مع تغيير نمط التعبير [21].

كما أن هذا الفعل الإنجازي الذي تواصل به الجرجانيّ، وأوصل به مراده إلى المخاطب قد حدث بصورة غير مباشرة، ووضّح محمود نحلة حدَّ الافعال غير المباشرة قاصدًا بها الأفعال التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم،...وهي ايضًا لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الإنجازي، والحرفي؛ بل الزيادة تكمن كما أطلق عنها سيرل في "معنى المتكلم".[22]

أما بالنسبة للمحور الآخر الذي تواصل به المتكلّم، والذي أوضحه في النص بالشاهد القرآني، ألا وهو "الاستلزام الحواري" الذي خرق فيه مبدأ "الكيف" بقوله: **(وتكذيب لهم في قولهم...)** وأطلق بول غرايس تسمية أخرى على الاستلزام وهو(مبدأ التعاون) ووضحه بعبارة أنيقة قائلًا فيها:((لتكن مساهمتك في المحادثة موافقة لما يتطلبه منك– في المرحلة التي تجري فيها– ما تمّ ارتضاؤه من أهداف أو وجهة للمحاورة التي اشتركت فيها))[23].

يُلحظ في الآية الثانية المذكورة في النص [أَصْطَفَى البَنَاتِ عَلَى البَنِين، مَا لَكُمْ كيف تحكمون] كما قلنا فيها خرق لمبدأ الكيف، وتُبين معنى هذا الخرق القاعدة الرئيسة التي وضعها غرايس بأنه لابد أنْ تكون مساهمتك في هذا الموضوع صادقة، وأضاف الى تلك القاعدة قاعدتين أكثر خاصية هما: لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما تفتقر الحجة الكافية عليه، إذن عندما يتم خرق هذه القواعد العامة منها والخاصة يحدث بعد ذلك خرق وتغير في المعنى، مما يستدعي القول كيف حدث هذا؟ و"كيف" هي مدار الكلام [24].

عندما بيّن الجرجانيّ تقديم الفعل فإنَّه ساهم مساهمة صادقة، وكلامه فيه حجة كافية وصحيحة على أن المعنى "إنكار"، ولو قدم غيّر الفعل لحدث خرق في الدلالة النحوية.

جاء في "الخطابة عند العرب" تضمين في المساهمة الصادقة والصحيحة في الكلام، نقلًا عن ابن خلدون(ت: 808هـ)؛ يجب على المتكلم، ومنشئ القول، إعطاء الكلام حقَّه في مطابقة مقتضى الحال، حتى يتجنب القصور في الكلام والدلالة[25].

---

[19]نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، أوستن، 116.

[20]العقل واللغة والمجتمع: 201.

[21] ينظر: العقل واللغة والمجتمع، 219.

[22] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، 50–51.

[23]أطلالات على النظرية اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: مختارات معربة، عز الدين مجدوب، 2/ 618.

[24]ينظر: أطلالات على النظرية اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين619.

[25]ينظر: الخطابة عند العرب، محمد الخضر حسين، تح: ياسر حامد المطيري، 185.

وهكذا استمر الجرجاني في ابداعه النحوي والبلاغي للتواصل مع الطرف الآخر وذكر هو القائلين في الحادثة التي استشهد بها، وجعلها دليلًا على صدقِ كلامهِ، والنص كالآتي: ((واعلمْ أَنّ ممَّا أَغمَضَ الطريقَ إِلى معرفة ما نحنُ بصدده، أَنَّ ههنا فروقاً خفيَّةً تَجْهَلُها العامة وكثيرٌ من الخاصَّة, ليس أَنَّهم يجهلونها في موضعٍ ويَعْرفونها في آخر، بل لا يَدرون أَنها هي، ولا يَعْلمونها في جُمْلةٍ ولا تفصيل. روي عن ابن الأنباريّ أَنه قال: ركبَ الكِنْدِي المُتَفَلْسِفُ إلى أبي العبّاس وقال له: إنيّ لأَجِد في كلام الَرب حَشْواً! فقال له أبو العباس: في أي وضع وجدتَ ذلك؟ فقال: أَجد العربَ يقولون: "عبدُ الله قائمٌ"، ثم يقولون "إنَّ عبد الله قائمٌ"، ثم يقولون: "إنَّ عبدَ اللهَ لَقَائمٌ"، فالألفاظُ متكرِّرةٌ والمعنى واحد. فقال أبو العباس: بَل المعاني مُخْتلفة لاختلاف الألفاظِ، فقولهم: "عبد الله قائم"، إخبار عن قِيامه وقولُهم: "إنَّ عبدَ الله قائمٌ"، جوابٌ عن سؤالِ سائلٍ وقوله: "إنَّ عبدَ الله لَقَائمٌ"، جوابٌ عن إنكارِ مُنْكِرٍ قيامَهُ، فقد تكررَّت الألفاظ لتكرُّر المعاني. قال فما أَحاز المتفلسفُ جواباً ...))[26].

يُلحظ أن الجرجانيّ، قد تواصل مع الطرف الآخر بطريقة توجيهية أوضحها السياق العام للخطاب، والظروف المحيطة به، فالتوجيه هنا أمر مهم للغاية؛ لأنه أراد به إزالة اللبس عن معاني "إن". فهذه الاستراتيجية التي ابعها في خطابه من خلالها رام إلى تبليغ قصده وتحقيق الهدف الخطابي، وهذا جُل ما كان المرسل يركز عليه ويهتم به بعيدًا عن الاهتمام بتأسيس العلاقة الحسنة مع المرسل إليه، لأنه أحيانًا يعمد إلى فرض بعض القيود المتفاوتة على المرسل إليه ؛ لمنفعته ولتوجيه إلى فعل مستقبلي معين، فلهذا نراه غير مهتم بالتودد بقوله وتجهلها العامة.[27] كما أنَّ خطابه تضمن في طياته فعلين إنجازيّن لغويين هما (الفعل المباشر، وغير المباشر) والفعل كما هو متعارف عليه((كل حدث حاصل بواسطة الكائن الانساني))[28]. فكل ما ورد عن المرسل(الجرجانيّ) هنا، هو حدث سواء أكان مباشر أم غير مباشر. وفي هذا الصدد تناول مسعود صحراوي ما كتبه كل من أوستن وتلميذه سيرل حول المفهوم اللغوي للفعل الكلامي وهو:((التصرّف الإرادي الذي يُنجزه الإنسان بالكلام، ومن ثَمّ، الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر، والوعد والسؤال، والتعيين، والتعزية، والإقالة، ... وغيرها من الأساليب، فهذه كلها "أفعال كلامية")).[29] وبالنسبة للفعل المباشر(الصريح)، "أعلم" الذي تم ذكره في النص المختار للجرجانيّ، أما الفعل غير المباشر فقد دلت عليه عبارة (مما اغمض الطريق إلى معرفة ما نحن بصدده) هو فعل توصلنا إليه، من خلال فعل آخر، ألا وهو الفعل الاول [المباشر]. هذا وقد استطاع سيرل أن يميز بين الافعال الإنجازية المباشرة، وغير المباشرة، قائلًا فيهما: إن الأفعال الاولى هي التي تطابق قوتها الانجازية مراد المتكلم، بمعنى ألفاظه مطابقة لما يعنيه، أما الأفعال الأخرى "غير المباشرة" فهي بعكس الأولى تمامًا؛ حيث تخالف قوة الانجاز مراد المتكلّم.[30] فلهذين الفعلين قوة إنجازية، فقوة الفعل الأول أسماها العياشي، قوة إنجازية حرفية مدركة مقاليًا أي(يدل عليها بصيغة الفعل أو الأداة)، أما قوة إنجاز الفعل الثاني فهي قوة استلزاميه لغوية مدركة

---

[26] دلائل الاعجاز: 315.

[27] ينظر: استراتيجيات الخطاب ، 322.

[28] النص والسياق: فان دايك, ترجمة: عبد القادرقنيني, 228.

[29] الأفعال الكلامية عند الاصوليين: 199.

[30] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 50-51.

مقاميًا أي(تستلزمها الجملة في سياق معين).[31] وتم إنجاز هذا الأمر بامتلاك الجرجانيّ درر التعبير ليوصل المتلقي بها إلى بر الأمان، ويجعله يمتلك معرفة علمية متنوعه، وفهم ثاقب حول كل مفصل في الموضوعات التي يتداولها.

أما قصد المتكلم هنا فهو إبلاغ المخاطب المحتوى الدلالي الذي ظهرت شذرات منه في العبارة الآتية(أَنَّ ههنا فروقاً خفيَّةً...) فالمحتوى المراد إبلاغه وايصاله إلى المتلقي، وطالب العلم هي تلك الفروق الخفية المصاحبة لـ"إن" والتي تحمل معاني جمة، وهذا القصد هو نوع من أنواع المقاصد التي يراها "كرايس" مركبة، ومتداخلة، وتعددت بعدها لتشكل ثلاثة أنواع من المقاصد وهي: القصد، وقصد القصد، وقصد قصد القصد[32].

جاء في موضوع القصد الإخباري: ((إن الفرق بين المضمون أو المحتوى الصريح للمقولة وتلويحاتها، هو أننا نصل إلى المضمون أو المحتوى الصريح عن طريق فك الشفرة، في حين أننا نصل إلى التلويحات عن طريق الاستدلال)).[33] وهذا المعنى يفرض على المخاطب إعمال ذهنه ليساعده على فك الرموز والوصول إلى المعنى الصحيح، والمناسب الذي يقصده المتكلم.

فضلًا عن أن الفعل التأثيري الذي أطلقه المتكلم باختياره الفاظًا رصينة وتعبيرات مقامية متعددة الدلالات، حيث أوصلنا إلى المرسَل إليه يكون مستردًا لِما سيأتي من نص، بقوله: ((أنّ ههنا فروقًا خفية تجهلها العامة وكثير من الخاصة)) فتأثير هذا الكلام كان شديدًا عند السامع وهذه فكرة سيادة المتكلم في الأطلاق. والمراد بالفعل التأثيري هو:((الفعل الذي يترك آثارًا معينة، في الواقع))[34].

الخاتمة:

- البحث رحلة شائكة وممتعة في الوقت نفسه؛ لِما فيها من جهد ولذة الاكتشاف وسبر غور المعلومات والمعارف من أجل الوصول إلى نتائج مرضية, ومن هذه النتائج قد وجدنا حضوراً واضحاً لملامح نظرية التواصل في كتاب الجرجاني (دلائل الإعجاز).
- دأب الجرجاني بشكل واسع على توجيه خطابه إلى المخاطب الغائب؛ لأنه أدرك أن كتابه يصل للغائبين أكثر منه للحاضرين.
- اتخذ الجرجاني من معايير التواصل وسيلة للوصول إلى جميع القراء والمستمعين.
- بيَّنت الدراسة الاستراتيجية التي مكنت الجرجاني من التنقل بين عنصريّ المرسِل والمرسل إليه أثناء إرسال الرسالة, أي وجدناه تارة متكلمًا, وتارة أخرى مخاطبًا وتارة يجمع بين الأثنين, كل ذلك من أجل إرسال رسالة تواصلية فعالة ومتكاملة عَبر تجانس العناصر الأخرى, لكي تحقق هدفها المنشود.
- تناول الجرجاني الحديث عن بعض عناصر التواصل بشكل واضح, وتارة وجدناه يشير إليها بإشارات قد تبدو مضمرة.

المصادر والمراجع:

القران الكريم

---

[31] ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي ، 96-97.

[32] ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، 102.

[33] نظرية الصلة أو المناسبة: 109.

[34] التداولية عند علماء العرب: 44.

- استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظفر الشهري، الطبعة الأولى، آذار– مارس– الربيع 2004، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت– لبنان.
- الأستلزام الحواري في التداول اللساني (من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها)، العياشي أدراوي، الطبعة الأولى، 1432هـ _ 2011، دار الامان_ الرباط، منشورات الاختلاف.
- إطلالات على النظريات اللسانيّة والدلاليّة في النصف الثاني من القرن العشرين الجزء الثاني، مختارات معرّبة بإشراف وتنسيق: د. عز الدين مجدوب، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، المجمع التونسي للعلوم والآدب والفنون، بيت الحكمة 2012.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الدكتور محمد أحمد نحلة، استاذ العلوم اللغوية، كلية الآداب– جامعة الأسكندرية، رفع: عبد الرحمن النجدي اسكنه الله الفردوس، دار المرفت الجامعية، 2002.
- التداولية عند علماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة "الافعال الكلامية" في التراث اللساني العربي)، د. مسعود صحراوي استاذ بقسم اللغة العربية، جامعة الأغواط– الجزائر، الطبعة الأولى، تموز(يوليو) 2005، دار الطليعة للطباعة والنشر_ بيروت.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
- الخطابة عند العرب, محمد الخضر حسين (المتوفى: 1377 هـ), المحقق: ياسر بن حامد المطيري, الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية, الطبعة: الأولى، 1433هـ.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)،المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة 1413هـ – 1992م.
- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دكتور محمد سعران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر_ بيروت.
- في اللسانيات التداولية(محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، الدكتور خليفة بوجادي، الطبعة الأولى 2009، بيت الحكمة للنشر والتوزيع.
- لسانيات الخطاب(الأسلوبية والتلفظ والتداولية)، صابر الحباشة، الطبعة الأولى 2010، الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- اللسانيات ونظرية التواصل (رومان ياكوبسون نموذجًا)، عبد القادر الغزالي، الطبعة الاولى– 2003، الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع _ سوريا_ اللاذقية.
- النص والسياق(استقصاء البحث في الخطاب الدلالي)، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق 2000، بيروت_ لبنان.
- نظرية أفعال الكلام العامة(كيف ننجز الاشياء)، اوستين، ترجمة: عبد القادر قينيني، افريقيا_ الشرق 1991.
- نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك، دان سبيل، ربر و ديري ولسون ترجمة: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، مراجعة: فراس عواد معروف، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى أذار\ مارس 2016.
- وظيفة الألسن وديناميتها، أندريه مارتينيه، ترجمة: نادر سراج، بدعم من محمد بن راشد آل مكتوم، المنظمة العربية للترجمة، الحمراء_ بيروت_ لبنان، الطبعة الأولى 2009.

البحوث:

- الأفعال الكلامية عند الأصوليين (دراسة في ضوء اللسانيات التداولية)، مسعود صحراوي، استاذ اللسانيات والنحو والصرف، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الأغواط(الجزائر)، مجلة الدراسات اللغوية مج 6 ع2 (ربيع الثاني_ جماد الثانية1425هـ/ يوليو_ سبتمبر2004م).